Sham's Land Journal

Vol. (3) No.(2) (2024): 139-150

مجلة ارض الشام

المجلد (3) العدد (2) (2024): 139-150

مؤسسة أرض الشام

مِنْ سُبُلِ النُّهُوضِ باللُّغةِ العربِيَّةِ والهُويَّة في التَّعليمِ

سَناء أَحْمد شِهاب الدِّيْن[1]

1. عضو هيئة تدريسية في كلية الآداب الرابعة في القنيطرة
sanasososh79@gmail.com

الملخَّص:

اللُّغةُ العربيَّة هويَّة وتاريخٌ وتراث، ولطالما كانت لغةً رائدةً وسيِّدة بين اللُّغات، لكنَّ أهميَّتها تراجعت في الآونة الأخيرة، ولهذا أسبابٌ أهمُّها فقدان أبناء العربيّة محبَّة لغتهم والشَّغف بها بسبب فراغ المناهج التي يدرسون من المحتوى الجاذب الذي ينمِّي الذوق اللُّغويَّ الرَّاقي، والسَّبب الآخر شيوع العامِّية التي تزاحمُ اللُّغةَ العربيَّة الفصحى في الاستعمال، يُضافُ إلى ذلك الاستِخفافُ بالعربيَّة وتراث الأجداد اللُّغويِّ. كما أنَّ هناك مشكلة في اللُّغة العلميَّة والمصطلحات العلميَّة، فمع اجتهاد المجامع العربيَّة إلَّا أنَّها مازالت مقصِّرة في تحديد المصطلحات العلميَّة التي تُترجم من اللُّغات الأجنبيَّة إلى اللُّغة العربيَّة. وقد يكون للهُويَّة العربيَّة أثرٌ كبيرٌ في تراجُع اللُّغة؛ إذ لا انفصامَ بينهما، فالعربيُّ الذي يشعر بتضاؤل قدره بينَ المجتمعات لن يعتزَّ بلغته ولا يُهمُّه إتقانها، بل يسعى ليتقنَ اللُّغة السَّائدة.

ومن هذه المعوقات وشدَّتها تأتي السُّبُل التي تنهض باللُّغة العربيَّة، وأولى هذه السُّبُل الاعتناء بالمنهج المدرسي، وثانيها دعم وسائل التواصل والإعلام ليكون معزِّزًا للُّغة العربيَّة السَّليمة. وثالثها ربط اللُّغة العربيَّة بالحاسوب لبناء منظومة تحلِّل اللُّغة وتسهِّل تعلُّمها، وهذا يتطلَّب تطوير البرامج التي تدعم اللُّغة العربيَّة.

الكلمات المفتاحية: اللُّغة، الهويَّة، التَّعليم، الفصحى، نهضة، المنهج، التقانات.

حقوق النشر: مجلة أرض الشام – سورية

https://journal.shamlands.sy/index.php/SLJ

تاريخ الايداع: 2024/7/4 تاريخ النشر: 2024/7/28

One of the Means for Advancing Araic language and Identity in Education

Sanaa Ahmed Shihab El-Din[1]
1. Faculty member at the Fourth Faculty of Arts in Kenitra
sanasososh79@gmail.com

Abstract:

For speakers of Arabic, Arabic language is known to constitute an identity, history, and heritage. It has always been a pioneering and dominant language among other languages. However, its importance has declined recently. There are reasons for this decline, the most important of which is the loss of Arab student's love and passion for their language due to the fact that the curricula they study has become void of attractive content which is supposed to develop a refined linguistic taste. Another reason is the spread of colloquialism that competes with the classical Arabic in use. Moreover, there is the disdain for Arabic and the linguistic heritage of our ancestors.
There is also a problem with scientific language and scientific terminology. Despite the efforts of Arab academies, they are still deficient in defining scientific terms that are translated from foreign languages into Arabic.
Arab identity may have a significant impact on the decline of the language. Identity and language are two sides of the same coin. Any Arabic speaker who feels that his value has diminished in society will not be proud of his language, or care about mastering it; rather, he will strive to master the dominant language.
From these obstacles and their severity come out solutions for the advancement of Arabic. First, the school curriculum should be addressed carefully in order to be improved and enriched. Second, the means of communication and media should be supported to promote a sound Arabic language. Third, linking Arabic to the computer will build a system that analyzes the language and facilitates its learning. This requires developing programs that support the language.

Keywords: Language, Identity, Education, Classical Arabic, Renaissance, Curriculum, Technologies

المُقدِّمة:

لما خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ مخلوقاته ألهمَ كلَّ مخلوقٍ مسلكَهُ بالفطرةِ، والإنسانُ من هذه المخلوقاتِ، فهو بفطرتهِ مُلهَمٌ أصولَ الحياةِ وسُبُلَ العيشِ، وليستْ اللُّغةُ إلَّا أداةً من أدواتهِ استعملها ليسلكَ بها مسلكَ التفاهُم مع أقرانهِ؛ لأنَّ من أصولِ الحياة الاجتماعُ، ومن أصول الاجتماعِ اللُّغة أيًّا كانت.

وبغضِّ النَّظر إنْ كانت اللُّغةُ مُلْهمةً أو متَّفقًا عليها أو مُحاكيةً أصواتَ الطَّبيعة، فإنَّها أساسُ الحياةِ الاجتماعيَّة، فما اجتمع قومٌ إلَّا كانت لهم لغة. وبما أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ النَّاسَ شعوبًا وقبائل فقد صار لكلِّ شعبٍ لغةٌ، فالأصلُ في تشعُّب اللُّغات تشعُّبُ الجماعات، واللغةُ اصطلاحاتٌ عُرفيَّة ذاتُ دلالاتٍ تمكِّنُ السَّامع من فَهْم مراد المتكلِّم، وعليه فهي عملٌ اجتماعيٌّ لا يتهيَّأُ للفردِ؛ لأنَّ الفرد وحده لا يحتاجُ إليها.

وهذا الاختلاف في اللغاتِ سُنَّةٌ لا تبديلَ لها، وكلُّ المحاولاتِ التي سَعَتْ جاهدةً لتوحيد لغة العالم، أو أنْ تسودَ العالمَ لغةٌ واحدةٌ أخفقتْ وماتتْ بذرةً قبل أنْ تنهضَ على وجه الأرضِ؛ لأنَّ هذا مخالفٌ للطبيعة البشريَّة والفطرة الإلهيَّة.

ومع اختلاف اللغاتِ ترى الأممَ يتبارَونَ في إظهارِ لغتهم وجعْلِها تسود العالمَ، ولا شكَّ أنَّ هذا تابعٌ لسيادة القومِ أنفسِهم، فلا يخفى على أحدٍ أنَّ القومَ عندما يسودون اقتصاديًا وعلميًّا يسودون لغويًّا وفكريًّا، فسيادةُ لغةٍ دون غيرها تبَعٌ للقوَّةِ الشاملة، وتراجُع لغة من اللُّغات تبَعٌ لضعفها في كلِّ جوانبِ الحياةِ.

ولمَّا كان العربُ منذُ زمنٍ بعيدٍ سادةَ هذا العالم سارع كلُّ قومٍ إلى تعلُّمها، ولكنها اليومَ ترجع القهقرى وتضعفُ بسبب ضعفنا وتفرُّقنا، ولو أنَّها تبقى من أهمِّ اللُّغات في العالم وحياتها باقيةٌ ما بقيت الحياة، فهي لغةُ الدِّين المستقيم والتُّراث العظيم و «للُّغة العربيَّةِ ظروفٌ لم تتوفَّر لأيَّة لغةٍ من لغاتِ العالمِ، ولولا أنْ شرَّفها اللهُ عزَّ وجلَّ فأنزلَ بها كتابهُ، وقيَّض له منْ خلقهِ مَنْ يتلوهُ صباحَ مساءَ، ووعدَ بحفظهِ على تعاقُب الأزمانِ، لولا كلُّ هذا لأمستِ العربيَّة الفصحى لغةً أثريَّةً تشبهُ اللَّاتينيَّة، أو قُل السَّنسكريتيَّة، ولسادت اللَّهجاتُ العربيَّة المختلفة، وازدادت على مرِّ الزَّمان بعيداً عن الأصل الذي انسلختْ منه»

(لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب ص7)، وفي ظنِّي أنَّ اللُّغةَ التي ترتبطُ بالدِّين تظلُّ حيَّةً حياة الدِّين، لكنَّها تتطوَّر بتطوُّر المجتمع[1] وتسير سيره، ولا يمكنُ حصرها في إطار الدِّين وحسب، وقولي هي لغة دينٍ لا يعني أنَّها جامدة أو موقوفة على العبادات، فالتاريخُ لا دينَ له؛ لأنَّه يتغيَّر ويتحوَّل لاعتباراتٍ أُخرى غير دينيَّة، وهذا التَّغيير والتبديل من طبيعة الحياة.

[1] على أنَّ هذا التطوُّر ليس عشوائياً، بل محكوم بقانون لغوي معين. انظر التطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص 7

لقد منَّ اللهُ عزَّ وجلَّ على هذه اللغة بالقرآن الكريم، وهو القانونُ الإلهيُّ الحيُّ، قانونُ هذه الحياةِ بكلِّ أبعادها، فأحيا اللغةَ بالقرآن، وما أحياهُ اللهُ حيٌّ أمَّا ما أحياهُ العبد فقد يفنى، وعليه يُقاسُ بقاءُ لغةٍ أو اندثارها، فلابدَّ أنْ يكونَ للُّغةِ ما يحفظُها أو منْ يحفظها.

وليس مقصدُ هذه الورقة البحثيَّة الحديثَ عن صلة اللُّغة العربيَّة بالقرآن الكريم، فهذه حقيقةٌ بدهيَّةٌ لا تخفى على عربيٍّ، وأصلٌ لا يمكن إنكارُهُ، وإنَّما تحدثتُ عن هذا الأمر في مقدِّمة البحثِ لأنَّ سُبُل النُّهوض بهذه اللُّغة لا يكونُ إلَّا بالعودةِ إلى الأصول.

فمن الأمور التي أدت إلى ضعفها ظنُّنا أنَّ اللُّغة القديمة باتت لا تصلحُ للحداثة، وهذا أعظم ظُلمٍ يلحقُ باللُّغة من أبنائها، فإذا كان الغربُ يشيع هذه الفكرة لأهداف خبيثة، فالعربيُّ يروِّجها بنيَّةٍ ساذجة.

واعلموا أنَّ – كما قال أستاذنا الدكتور مازن المبارك: «السَّهم الذي يسدَّد إلى العربيَّة لا يسدَّد إلى حروفٍ وألفاظٍ، ولا إلى صيغٍ وتراكيب، ولكنَّه سهمٌ يُسدَّد إلى أمَّتنا في الصَّميم» (نحو وعي لغويّ ص8)

فمتى تصحو هذه الأمَّة وتدركُ أنَّ اللُّغة هويَّة وإهمالها يطمسُ فكرنا وثقافتنا وتراثنا ويمسُّ ديننا. والسؤالُ الذي يشغلُ البال لماذا يُتقنُ الأجنبيُّ المثقَّف لغته ولا يتقن العربيُّ المثقَّف لغته؟ أزعمُ أنَّ هناك أفكارًا دسَّها الغرب في الفكر العربيّ حتَّى باتت مسلَّمات آمنوا بها، ومنها أنَّ اللُّغة العربيَّة صعبةٌ وأكثر تعقيدًا من اللُّغات الأخرى، واليوم تسمعُ هذا الكلامَ من عربيٍّ لا أجنبيٍّ، والأمر الآخر أنَّها ليست لغة (التكنولوجيا) المسيطرة على العالم الحديث.

وسوف أضيءُ في هذا البحث جوانبَ من سُبُل النُّهوضِ باللغة العربيَّة، ولكنَّ هذا الأمر يقودنا إلى تحديد المشكلة، فلا مفرَّ من معرفةِ ما يقفُ في وجهِ نهوضِها.

من أسباب تراجُع اللغة العربيَّة في التَّعلم

1- فُقدان الشَّغف والمحبَّة: وقد قدَّمتُ هذا السَّبب على غيره لما لهُ أهميَّة في إتقان اللُّغات، على الرّغم من أنَّه يبدو للبعض سببًا ثانويًّا. لقد أصبح أبناؤنا كارهين اللُّغة العربيَّة، ولا سيَّما الحصص المخصَّصة لها في المدارس، وهو أمرٌ لافتٌ للانتباه، ويعود إلى أسباب منها: الشَّائعةُ التي تقول بصعوبة اللُّغة العربيَّة، وقد أصبحتْ هذه الشَّائعةُ أمرًا مُسلَّمًا به يصدِّقه كلُّ أبناء العربِ، ومنها المناهج التي لا تجذبُ المتعلِّم بسبب محتواها البعيد عن الذَّوق اللُّغويِّ السَّليم وعن روح الحياة الإنسانيَّة.

2- شيوعُ العاميَّة لأنَّها لغةُ الحياةِ اليوميَّة، فأصبحت تطالُ كلَّ استعمالات اللُّغة، حتَّى الأجناس الأدبيَّة كالرِّواية والقصَّة القصيرة والشِّعر، يُضافُ إلى ذلك أنَّ كلَّ ما تقعُ عليه العينُ مكتوبٌ بالعاميَّة، كالإعلانات ورسائل شركات الاتصال، وكلّ ما تسمعه الأذن كذلك من الإذاعة أو التلفاز، وأؤكِّد هنا

على أمرٍ خطير وهو برامج الأطفال فهي المؤثر الأكبر والأخطر في تلقين اللُّغة في المراحل الأولى، وهي المراحل الأهمُّ في إتقان اللُّغة.

3- الاستخفافُ بقيمة اللُّغة العربيَّة الفُصحى، والاعتقاد بتخلُّفها في هذا الزَّمن. إنَّ شرَّ ما يلحقُ اللُّغةَ فقدانُها التَّوقير والاحترام من أبنائها «فالنَّاسُ لا يعتبرون أنَّ الضَّعفَ فيها يعيبُهم، كما لا يعتبرون البراعة في التَّعبير بها مزيَّة تُكسبُ صاحبها تقديرًا ماديًّا أو اجتماعيًّا؛ ولذلك نرى المسؤولين من رجال العربِ ... لا يخجلونَ من الخطأ الفاحش الذي يقعُ في كلامهم في مختلفِ المناسباتِ، وتلكَ ظاهرةٌ لا نظيرَ لها في الأُممِ الحيَّة والدُّول الكبرى» (مقالات في اللغة والأدب، د. محمد حسين ص13) يُضافُ إلى ذلك أنَّنا نرى أنَّ دارسي اللُّغة العربيَّة مقصدُ السُّخرية والاستهزاء، ظنًّا منهم أنَّها دراسة لا تُضيف للعلومِ الحديثةِ شيئًا، أو أنَّها عفى عليها الزَّمن. وهذا الاستخفافُ ليس من أبناءِ الشَّعبِ وحسب إنَّما من المسؤولين في الدول كذلك، فهم لا يُعطون التَّقدير نفسه لدارس اللُّغة العربيَّة كما يعطونه لدارس الطبِّ أو الهندسةِ، إنْ كان تقديرًا اجتماعيًا أم علميًّا أم ماديًّا.

4- مشكلة اللُّغة العلميَّة والمصطلحاتِ، «الكارثة القاسية التي أصابتنا في لغتنا منذُ أنْ قصرتْ مهمَّتها على أداء المعاني الشعريَّة الخطابيَّة، وأُجبرت رغم أنفها على ترك المعاني العلميَّة...» (بحوث ودراسات في علم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح ص11) مع أنَّ مجامع اللُّغة العربيَّة اجتهدتْ اجتهادًا ملحوظًا في هذا المجال، ولا سيَّما ترجمة المصطلحات العلميَّة أو تحديدها، لكنَّها لم تستطعْ فرضَها في الاستعمال على الورق، والمعلوم أنَّ اللُّغةَ استعمال، وهذا يحتاجُ إلى سلطة تفرض استعمال الألفاظ الفصيحة في جميع المجالات.

5- مشكلة الهويَّة العربيَّة، وهذا أمرٌ يرتبط ارتباطًا عميقًا باللُّغة، فإذا كان العربيُّ هذه الأيَّام لا يشعر بهويَّته أو قوميَّته فكيف له أنْ يعتزَّ بلغتهِ، إنَّنا -العربَ- نعيش أزمة الهويَّة ولعنة الاغتراب، إذ ْبِتْنا نعتزُّ بالأجنبيِّ، بل نميِّزُه عن أخينا العربيِّ في أرضنا، فنعطيه الأولويَّة في العمل والتَّقدير الماديّ، وهذا ما يحدثُ في البلدان العربيَّة التي تستقطبُ الخبراء والعاملين من الدُّول الأخرى، ولهذا أثرٌ خطيرٌ في الانتماء العربيّ، الذي لا نستطيع أنْ نفصل جوانبه بعضها عن بعضٍ، واللُّغةُ من هذه الجوانب المهمَّة، فلا نهضةَ للغةٍ ولا تقديرَ لها ولا اعتبار مادام النَّاطق بها لا قدْرَ له، فالعربيُّ مهما كان عالمًا أو باحثًا فإنَّ جهدهُ لا يُقدَّرُ كما يُقدَّرُ جهدُ الأجنبيُّ، وفي بعض البلدان لا يعيبه سوى أنَّه عربيٌّ.

هذه بعضُ الأسباب من أسبابٍ كثيرة سياسيَّة واجتماعية وغير ذلك ممَّا يقف في وجه النَّهضة باللُّغة العربيَّة. فكيف نتجاوز هذه العائقات؟ وهل من أملٍ بعد يأسٍ وإحباط، أو صحوةٍ بعد سبات؟

مِنْ سُبُلِ النُّهُوْضِ باللُّغَةِ العَربيَّةِ والهويَّةِ في التَّعْليم

إذا حلَّ الدَّاء وجب أنْ يكون العلاج على قدرِ تضخُّمه، فالثَّمرات التي تجنيها الشُّعوب من وراء النَّدوات والمؤتمرات وقرارات المجامع العلميَّة لا تأتي أُكُلها مادامتِ العاميَّة هي المسيطرة على الاستعمال اللُّغوي، ولا أقصد هنا الاستعمال اليوميَّ بين النَّاس؛ لأنَّ هذا أمرٌ طبيعيٌّ فلكل قَومٍ لغة استعمال يوميٍّ ولغةٌ رسميَّةٌ أو أدبيَّة ثقافيَّة، وما أقصده غزوُ العاميَّة لكلِّ استعمالات اللُّغة الرَّسميَّة وغير الرَّسميَّة، يُضافُ إلى ذلك الأخطاء الكثيرة في الفصحى قولًا وكتابةً، بل العجزُ عن قول الفصحى السَّليمة أينما اُستُعملت.

يمكن تحديد السُّبل بثلاثة اتِّجاهات: الاتِّجاه الأوَّل حول المناهج المدرسيّة، والاتِّجاه الثَّاني حول الاستفادة من وسائل التَّواصل، والاتجّاه الثَّالث حول جعل اللُّغة العربيَّة لغةَ علمٍ وتكنولوجيا.

الاعْتِناءُ بالمنهج المدرسيِّ وسبُل التَّعليم:

أوَّلُ ما يمكن أنْ يكون في مجال التَّعليم زَرْع المحبَّة؛ فالمُحبُّ معطاء، وإنْ جعلنا الجيلَ الفتيَّ عاشقًا اللُّغةَ العربيَّةَ ضمنًا إتقانَها وغَيْرته عليها ونفوره من اللَّحْن فيها، ولكن كيفَ لنا ذلكَ؟ لابدَّ من نَقْل الشُّعور من المعلِّم إلى المتعلِّم؛ إذْ علينا إظهار حبَّ اللغة العربيَّة، ولا يكونُ ذلكَ إلَّا بتأليف منهج محكم يكونُ محتواه جاذبًا للمتعلِّم، وقريبًا من فكرِهِ ونبضِهِ وداعمًا لذوقِه وشعورِه، ومغذِّيًا لهويَّته العربيَّة، فاللُّغةُ «ليستْ مجرَّد وسيلة للتَّفاهُم، وإنَّما هي جزءٌ من شخصيَّة الأمَّة، وركيزة من ركائز قوميَّتها، وشيءٌ من معناها» (نحو وعي لغويٍّ، د. مازن المبارك ص34)

علينا أنْ نزرعَ في فكرِ الطِّفل مميِّزات هذه اللُّغة الأصيلة، ونُعيده إلى فطرته العربيَّة السَّليمة، وأنْ نصلَهُ بالتُّراثِ العظيم، ونعلِّمه أنَّ هذه اللُّغة استوعبت جميع الحضارات، وبقيتْ ساطعةً بعدَ كلّ عصرٍ من العصور، أو منعطفٍ تاريخيٍّ أو تغيُّر اجتماعيٍّ. كما ظلَّت الآثار الأدبيَّةُ نماذجَ يُحتذى بها، وقلَّما تأثَّرت العربيَّةُ الفصحى بالتَّغيير؛ لأنَّ الآثار الأدبيَّةَ التي سُجِّلت في العصورِ الأولى للإسلامِ ظلَّتْ كالحارسِ عليها.(في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ص25)

إنَّ الكثيرين من ذيول الاستعمار الذي هدف إلى هَدْم شخصيَّتنا العربيَّة حاولَ هَدْمَ القدوة، وهذا أمرٌ جللٌ وخطير، لأنَّ الهدْمَ الأشدَّ يكونُ في ثلاثة اتجاهاتٍ: الدِّين والخُلُق والقدوةُ.

إنَّ عودتنا إلى قدوتنا في اللُّغة وهم علماؤنا القدماء ليس التفاتًا إلى الوراء ولا تخلُّفًا عن الحضارة، بل عودة إلى الطَّريق المستقيم، لذلك يجب أنْ تشتمل المناهجُ على نصوصٍ تأصيليَّة فصيحة ذاتِ بلاغة

عالية، لأنَّ النُّصوص المختارة الآن[2]، هزيلة زهيدة في معناها وفقيرة في جمالها، ولا سيَّما في مادَّة القراءة، وفي ظنِّي هي المادة الأهم لتعلُّم اللُّغة والتمكُّن من مفرداتها، يأتي بعد ذلك التَّعبير فلن يتمكَّن المتعلِّم من التعبير شفهيًّا أو كتابيًّا ما لم يملك ذخيرةً لغويَّة يعرفُ كيف يستعملها للمعاني التي يريد الإفصاح عنها، ولا ريبَ أنَّ القرآن الكريم سيُعين المتعلِّم على إتقان اللُّغة العربيَّة إنْ كان من حيث ألفاظها ومعانيها أو نحوها وصرفها، ومن الخطأ فَصْلُ اللُّغة العربيَّة عن القرآن الكريم في التَّعليم، وهذا ما حدثَ فعلًا، ومن خلال ملاحظتي في تدريس الطُّلاب وجدتُ أنَّ حافظي القرآن الكريم يتقنون العربيَّة خلافًا للطلاب الذين لا يحفظونه.

أمَّا القواعد فهي تحصيلٌ حاصل بعد التَّمكُّن من قراءة القرآن وتدبُّره، وقراءة النُّصوص الأصيلة الفصيحة، لأنَّ القواعد ستصبحُ طَوْع العقل بعد تلقِّي اللُّغة السَّليمة، فالعربيُّ قديمًا كان يتحدَّثُ على السَّليقة لغةً صحيحة سليمة، من غير جهدٍ منه كما يجتهدُ المتعلِّمون اليوم، والمصيبة أنَّهم بعدَ جهدهم يلحنون.

والحقُّ أنَّ كلَّ ما تحدَّثتُ عنهُ فيما يتعلق بالمنهج لن يكون نافعًا مادام الذي سيعلِّمه لا يُتقن اللُّغة تمامًا، فقد التقيتُ بكثير من هؤلاء المعلِّمين يلحنون ولا يُدركون، ويعلِّمون اللُّغة على غيرِ استقامةٍ، وهذا أمرٌ يقع على عاتقِ التَّعليم العالي، فكيفَ يتخرَّجُ في قسم اللُّغة العربيَّة من لا يُتقنُها؟! إنَّ هذا الأمرَ يحتاجُ إلى الحزمِ ونبذِ التَّساهُل، فنحنُ إنْ لم نتدارك الأمرَ زِدنا في الهَدْم وضيَّعنا لغتنا بأيدينا.

ولكن من ناحية أخرى فهذا المعلِّمُ لا يُعطى حقَّه وثمرةَ جهده إنْ كانَ ماديًّا أم معنويًّا، ولهذا أثرٌ كبيرٌ في شعورهِ بالإحباط، والإحباطُ يجعلهُ مستهتِرًا من كلِّ جانبٍ. وعليهِ فإنَّ كلَّ الأمور يرتبطُ بعضُها ببعضٍ، ولا نستطيعُ أنْ نُصلحَ جانبًا دون جانب لأنَّ الإصلاح لن يكون.

وسائل التواصُل والإعلام ودورهما في تعزيز اللُّغة العربيَّة السَّليمة

إنَّ كلام الإنسان صورةٌ لما يسمعُ ويرى؛ لأنَّه يتلقَّى اللُّغة تلقِّيًا، ونحن نعاني اليومَ من أزمة سماع اللُّغة ممَّن لا يُتقنها، بل يُفسدها أسوأ إفساد.

للإعلام دورٌ مهمٌّ جدًّا في تعزيز اللُّغة السَّليمة، ولابدَّ اليومَ من استغلال الوسائل الإعلاميَّة من إذاعة وتلفاز وغيرهما، فالعربيَّة الفصحى «في عصر الإعلام المسموع والمرئيِّ أُتيح لها من الوصول إلى

[2] في منهاجنا السُّوريِّ، وقد درَّستُه في أثناء تدريسي في ثانويات دمشق، وكنتُ أمقتُ تلكَ النصوص، ولا أستمتع بقراءتها أو شرحها، وأكبتُ شعوري كي لا أنقله إلى طلابي، وفي الأدب العربيّ نصوص أجملُ بكثير مما اختير.

فضاءات داخلَ الوطن وخارجه ما لم يكنْ مُتاحًا لها من قبلُ» (العربيَّة وصراع المتوازنات، د. محمد عبدو فلفل ص28)

ولا يمكن النُّهوض باللُّغة إلَّا بتسخير الإعلام لتكوين بيئة لغويَّة سليمة، إذ نرى اليومَ كيف طغت العاميَّةُ على البرامج الإذاعيَّة والتلفازيَّة، وأخصُّ بالذِّكر البرامج المخصَّصة للأطفال. كان على الحكومات ألَّا تسمحَ بتشويهِ لغةِ الطِّفلِ من خلال بثِّ برامج ذاتِ لغةٍ فاسدة، فما يتلقَّنه في طفولته يصعبُ تغييرُه أو تصحيحه عندما يكبر، وهذا مثلُ التَّعليم في المدارس، فقد كان طلَّاب المرحلة الثانوية مثقلين بكثيرٍ من الأخطاء التي حملوها معهم صغارًا في المرحلة الابتدائيَّة، وفي أثناء تدريسي في الثَّانوية اجتهدتُ لتصحيح الخطأ الذي تعلَّموه بتوجيههم إلى الصَّواب الذي نريده أنْ يكونَ، فأُخفقُ كثيرًا وأنجحُ قليلًا، ولاسيَّما عندما يستعملُ المتعلِّم اللُّغةَ، إذ تراهُ بصورةٍ عفويَّة يستعملُ ما تلقَّنهُ في طفولته مع إدراكه أنَّه خطأ، وهذا أيضًا ما يحدثُ معنا في الأخطاء الشائعة، فتجد الذِّهنَ ينصرفُ إلى ما هو شائعٌ في الاستعمال ثمَّ عند التَّدقيق نستدركُ فنصحِّح، هذا فيما هو مكتوبٌ ولكن ما هو مُتحدَّثٌ به بصورة مباشرة عفويَّة لا يُستدرَك.

وللإعلام الأثرُ نفسُه فالطِّفلُ مشدودٌ إلى هذه البرامج يتشرَّبُها بشغفٍ، فتؤثِّرُ في فكرهِ ولغته نطقِها ومفرداتها، فالسَّمعُ أساس الملكة اللُّغويَّة إذا فسد فسدت وإذا صلح صلحت.

وهذا الأمرُ لا يقتصر على دولةٍ من الدُّول العربيَّة، لابدَّ أنْ تتضافرَ الجهود في وضع رقابةٍ على هذه البرامج، فتتوحَّد همَّة العربِ جميعًا على نشر ما هو فصيحٌ سليم، وهجرِ ما يُفسد الذَّائقة اللغويَّة للطفل، صحيحٌ أنَّ الأمرَ صعبٌ وقد يظنُّه البعضُ ضربًا من الهذيان ولكنَّ الإصرار على هذه الدعوة قد تثمر ولو بعد حين، فلابدَّ لطارق الأبواب أنْ يلجَ.

وأمَّا من ناحية وسائل التَّواصل الاجتماعيِّ المعروفة فهذا أمرٌ عسيرٌ جدًّا، فالحقُّ أنَّه لا سلطةَ تحكم المتحدّث أو الكاتب ليراعي اللُّغة السَّليمة، وليس للعربِ أيَّةُ سلطة فيه، وقد رأينا اليوم في أحداث غزَّة كيف كانت تُحذف المنشورات (على الفيسبوك) التي تنادي برفع الظلم عن إخواننا في غزَّة وتذمُّ فعل الصَّهاينة الشَّنيع، وهذا مثالٌ على عجز العربِ عن التَّحكُّم في وسائل التَّواصُل وهو أمرٌ سأتحدَّثُ عنه في السطور الآتية.

أثرُ التِّقانات الحديثةِ في نهضةِ اللُّغةِ العربيَّةِ

لم تعدْ قوَّة اللُّغات في حضورها وتمكُّنها من الألسنة فحسب، إنَّما قوَّتها في استمكانها من التِّقانات الحديثة، فاليوم معيار التَّصنيف العالميِّ حضور اللُّغة على الشَّابكة (الإنترنِت)، وليست اللُّغة العربيَّة الأضعف في هذا التَّصنيف، بل هي اللُّغة الرَّابعة عالميًّا من حيث الانتشار في (الإنترنِت)، والمعلوم أنَّ اللُّغات في عصر السُّرعة تشهدُ صراعًا شديدًا للبقاء، وما يعزِّز حضورها القويَّ شقُّها طريق (التكنولوجيا)، أو ما يسمَّى بمحاكاة الآلة (آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تشومسكي ص 251) وقد بدأ الالتفات إلى هذه الأهميَّة منذ نشأة اللِّسانيات الحاسوبيَّة «وقد أظهرت الدِّراساتُ المستقبليَّة الموضوعيَّة أنَّ العولمة سوف تفضي إلى بقاء عدد من اللُّغاتِ المهمَّة وازدهارها، ولم يكنْ مفاجئًا أنْ تتوقَّعَ هذه الدِّراساتُ أنَّ العربيَّة ستكون اللُّغة الثَّالثة على مستوى العالم بعد الإنجليزية والإسبانية» (العربية الجامعية لغير المتخصصين، عبده الراجحي ص10)

لربطِ اللُّغةِ بالآلة لابدَّ من بناء منظومة تقوم على التَّحليل اللُّغوي بمستوياته الأربعة: النَّحويّ والصَّرفيّ والصَّوتيّ والدِّلاليّ. والهدف صَوْغُ نظريةٍ عن لغة ما تمكِّننا من وصْف الكيفيَّة التي تحدّد بها اللُّغة التمثيلات العقلية المحدَّدة لكلِّ تعبيرٍ لغويٍّ. (اللغة ومشكلات المعرفة، تشومسكي ص185) وقد مهَّدتْ الدراسات البنيويَّة لربط الدِّراسات اللُّغويّة بالحاسوب عن طريق تحليل اللُّغة تحليلًا دقيقًا، وتنظيم الثَّروة اللُّغويَّة في مستوياتها كافَّةً. وقد كانت جهودُ المجتمعات العربيَّة في ترقية اللُّغة تقنيًّا تنطلق من وعيٍ بضرورة الاندماج في عالم التِّقانة و (التكنولوجيا)، ولكن يجب الحذر من تقليد عمل الأجنبيّ في برمجة اللُّغة، فللُّغة العربيَّة خصوصية، وأيُّ تطوُّر فيها يفسدها ما لم ينطلق من النَّظريَّة العربيَّة الأصيلة، فإذا كانَ الإحصاءُ اللُّغويُّ اللَّبنة الأساسية للتَّفكير اللُّغويِّ الحديث وهو مُنطلق الحوسبة، فإنَّ علماء العرب القدماء هم السَّبَّاقون لذلك، بدءًا من الخليل بن أحمد الفراهيديّ وسيبويه.

ومن خصوصيَّات اللُّغةُ العربيَّة التي يجب مراعاتها الضبط بالشَّكل، وعليه لابدَّ من تطوير برنامج التشكيل الآليِّ، وهذا يحتاجُ إلى خبراء مُتقنين، والمسألةُ تتوقَّف على إدخال بياناتٍ صحيحة ودقيقة، فالحاسوب مُخرِج معلومات لا مفكِّر لغويٍّ. كما لابدَّ من تطوير برنامج التَّدقيق الإملائيِّ، وبرنامج التَّحليل الصَّرفيِّ.

ولكي تُسهم التِّقانة في نهضة اللُّغة العربيَّة على مطوِّري البرامج الاهتمام بأمرين؛ الأوَّل منهما نَشْر اللُّغة عالميًّا بحيث تصبح الحاجة إليها في مجال التِّقانة حاجةً أساسيَّة، ويمكن لهذا أنْ يكون بإكثار المواقع التَّعليمية التي تُتيح لجميع المتعلِّمين تعلُّم العربيَّة نُطقًا وكتابةً، وسيكون هذا محفِّزًا لتقدُّمها عالميًّا

وحضورها (تكنولوجيًّا)، والأمر الثاني: الاهتمام بمواقع التَّرجمة، وهذا يحتاج إلى جهد عظيمٍ من خبراء الهندسة اللُّغويَّة، فمعلومٌ أنَّ نقلَ الكلام من لغةٍ إلى لغة أخرى، ولاسيَّما إنْ كانت هذه الأخرى هي اللُّغة العربيَّة، أمرٌ يحتاجُ إلى خبرةٍ أسلوبيَّة لم تُتح حتَّى اليوم للتَّرجمة الآليَّة التي نعرفُها، يُضاف إلى ذلك كثرة المجازات في اللُّغة العربيَّة، حتى قال علماؤنا القدماءُ: تكاد تكون العربيَّةُ كلُّها مجازًا، فهذا الأمر يحتاج إلى ما يُسمَّى بالحدس اللُّغويِّ، وهو غير موجود في الآلة، كما أنَّ هناك صعوبة في ترجمة الجمل الطويلة التي يكثر فيها التَّقديم والتأخير. فهل من حلٍّ لهذه المعضلات؟ ربَّما تتطور الترجمة الآلية على يد المبرمجين حتَّى تخدم اللُّغة العربية بصورة أفضل وُتسهم في نهضتها.

الخُلاصة:

ومما سبق نخلص إلى أمورٍ وتوصياتٍ قد تُفيد في نهضة اللُّغة العربيَّة في التَّعليم والهُويَّة:

1- تعزيز أهميَّة اللُّغة في دعم الهويَّة العربيَّة والرَّابطة القوميَّة.
2- دعم المناهج من قبل المؤلِّفين لتكونَ عامل جذبٍ ومتعة وفائدة، وترتقي بالذَّوق اللُّغويِّ.
3- الحدُّ من هجوم العاميَّة على اللُّغة العربيَّة الفصحى من خلال الاهتمام بالإعلام وتنقيته من شوائب الأخطاء وفساد اللُّغة.
4- تضافُر جهود المجامع اللُّغويَّة العربيَّة لترجمة المصطلحات ترجمة علميَّة، وتحديدها بدقَّة.
5- الاعتمام بالبرمجة والحوسبة ودفع اللُّغة العربيَّة لتتصدَّر مواقع (الإنترنت)

المراجع:

1. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1965
2. تشومسكي، نعوم، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار، ط1، سورية، 2009
3. تشومسكي، نعوم، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة د.حمزة قبلان المزيني، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 1990
4. الحاج صالح، عبد الرحمن، بحوث ودراسات في علم اللِّسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012
5. حسين، محمد محمد، مقالات في اللغة والأدب، دار الحمامي للطباعة، ط2، مصر، 1968
6. الراجحيّ، عبده، العربية الجامعية لغير المتخصصين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2007
7. عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990
8. عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2، القاهرة، 2000
9. فلفل، محمد عبدو، العربية وصراع المتوازنات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2022
10. المبارك، مازن، نحو وعي لغويٍّ، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1979